الفصل الأول : من الإنكسار إلى الإنتصار

(المبحث الأول)

محاولة وأد الحلم وكسر إرادة الشعب المصري

في بلادي هناك من يصنعون النصر وغيرهم يحمل أكاليل الغار، في بلادي يسقط الشهداء وهناك من يتاجر بدمائهم الزكية، فهذا ما ورثناه من تركة أجدادنا الفراعنة " عاش الملك مات الملك" ، ففي حياة الفرعون يقدسونه ويؤلهونه وبعد وفاته يطمسون كل آثاره وإنجازاته بل يضع الفرعون الجديد خرطوشه على معابد ومسلات سلفه وينسب لنفسه ميراث وإنجازات غيره، لنجد أنفسنا بين من يُحمل "عبد الناصر" هزيمة ١٩٦٧ وحده وينسى أو يتناسى إعادته بناء القوات المسلحة ودوره في حرب الإستنزاف التي كانت الخطوة الأولى نحو طريق النصر، وهناك من يتغنى بدور السادات وينسب له النصر بالكامل، وفي عهد مبارك وجدنا جوقته تختزل نصر أكتوبر في الضربة الجوية بل ومنحوه لقب السادات بطل الحرب والسلام سرقة وزوراً وبهتاناً وتزييفاً للحقائق .

وللتاريخ والإنصاف كان الصانع الأول لنصر أكتوبر هو الجندي المصري وآلاف الشهداء وعشرات بل مئات من القادة والضباط .

فالجندي المصري هو الذي وقع عليه العبء الأكبر في هذه الحرب للعبور من براثن الهزيمة إلى شاطيء النصر، والمفارقة أن الجندي المصري كان خارج حسابات العدو الصهيوني ليقوم بتغيير المعادلة حيث إستطاع إقتحام أكبر حصن دفاعي عرفته البشرية، فدمر ٢٢ موقعاً حصيناً منه و ٣٤ نقطة

قوية للعدو، أما البطل الأول لهذه الحرب فهو بلا جدال الشعب المصري الذي تحمل الآلام والجراح وقاسى من ويلات وتبعات الحرب وخاصة على الصعيد الإقتصادي.

أما أن نختزل حرب أكتوبر في رئيس أو بعض القادة أو بعض الأسلحة دون غيرها فهذا ظلم بيّن، فلا يجوز أن نسمح لكائن من كان أن يتاجر بالنصر أو ينتزعه عن بعض القادة ويطوق به أعناق آخرين أو يتغافل عن دور الجندي المصري الشجاع الذي كان كلمة السر في حرب أكتوبر.

حرب أكتوبر هي الحرب الأضخم ميدانياً بعد الحرب العالمية الثانية، فهي الحرب التي قلبت موازين العالم العسكرية رأساً على عقب فقد تم فيها تنفيذ أكبر معركة جوية قتال متلاحم لأكثر من ٥٣ دقيقة وعلى الأرض شهدت أكبر معركة بالمدرعات شهدها العصر الحديث بإجماع الخبراء والمحللين العسكريين.

هي الحرب التي نسفت نظرية الذراع الطولي لإسرائيل فقد كانت إسرائيل تمتلك قوات جوية حديثة تستطيع أن تصل إلى داخل العمق المصري فأنشأت مصر قوات الدفاع الجوي وبنت مصر حائط الصواريخ لحماية الأجواء المصرية وجعلها أكثر أمناً يصعب إختراقها .

هي الحرب التي كسرت كبرياء إسرائيل وأذلت هامتها، ظهر ذلك جلياً في إعترافات "موشى ديان" وزير الدفاع الإسرائيلي الأسبق في كتابه " ديان يعترف " قائلاً بمرارة : " أريد أن أصرح بمنتهى الوضوح بأننا لا نملك القوة الكافية لإعادة المصريين إلى خلف قناة السويس مرة أخرى، فالمصريين يملكون سلاحاً متقدماً ويعرفون كيفية استخدامه ضد قواتنا ولا أعرف مكاناً

آخر في هذا العالم محمياً بكل هذه الصواريخ كما هو في مصر، لقد ظهرنا أمام العالم بأننا نمر من ورق "

تهاوت أسطورة العدو الصهيوني أمام العالم وشكلت الحرب والهزيمة صدمة نفسية للشعب الإسرائيلي ولقادته لدرجة أن " جولدا مائير" كادت أن تُقدم على الإنتحار، وكانت استغاثتها بـ "كيسنجر" لإنقاذ ما يمكن إنقاذه لأكبر دليل على عمق الزلزال الذي أحدثه عبور أكتوبر.

وقبل أن نعبر إلى آفاق النصر، لابد أن نتذكر آلام الهزيمة ومرارتها التي كانت الوقود والدافع لشحن بطاريات الإرادة المصرية وتصحيح المسار وتلافي الأخطاء حتى نتذوق حلاوة النصر وآماله .

(المبحث الثاني)
بطل النكسة والإستنزاف

تجرعنا مرارة الهزيمة كانت كالغصة في حلوقنا، فعقب إغلاق " جمال عبد الناصر" لخليج العقبة أمام السفن الصهيونية بعدما تأكد من حلفائه الروس أنباءاً عن حشد إسرائيل لحشود ضخمة على الحدود السورية، رد عبد الناصر على الفور بترحيل قوات الطواريء الدولية في سيناء وإحلال الجيش المصري في مواقعها ، فما كان من إسرائيل إلا أن قامت بشن ضربات جوية على مصر وسوريا والأردن في يونيو ١٩٦٧، في الساعة الثامنة وخمس وأربعون دقيقة، لكن قبلها بسبعين دقيقة قامت إسرائيل بهجوم بري على الحدود المصرية واستطاعت احتلال موقع متقدم داخل الحدود تصدت له سرية مشاة مدعمة بمنطقة أم بسيس الأمامية كجس نبض للجيش المصري.

في كل المعارك التي خاضها العرب ضد إسرائيل لم تحاربنا إسرائيل بمفردها بل كانت تدعمها قوة عظمي تساندها وتمدها بالأسلحة والعتاد والدعم اللوجيستي لتضمن لها التفوق علي العرب مجتمعين. وبعد مرور أكثر من نصف قرن مازالت تتكشف الحقائق لاأحاول هنا أن أدافع عن عصر أو نظام بل نحاول كشف الحقيقة لوضع الأمور في نصابها ونترك للقارئ الحكم والتعليق. لم تكن نكسة ١٩٦٧. مؤامرة إسرائيلية بل مؤامرة دولية غربية حِيكت وحُبكت ضد مصر،قادتها الولايات المتحدة الأمريكية لصالح إسرائيل كجزء من الحرب الباردة بين الأمريكان والإتحاد السوفيتي السابق. ملعبها الشرق الأوسط. المكان قبالة السواحل المصرية. الزمان يونيو ١٩٦٧. الأداة المدمرة الأمريكية ليبرتي وتحتها الغواصة الذرية الأمريكية أندرو جاكسون.

المهمة... كانت المهمة من أغرب مايمكن المفترض أن واشنطن أرسلتها للتجسس علي مصرولدعم ومساندة إسرائيل لكن أن يقوم الطيران الإسرائيلي بقصف المدمرة ليبرتي ويسفر الهجوم علي المدمرة الذي استغرق ٤٠ دقيقة عن مقتل مايقرب من ٤٠ أميركي وإصابة ١٧٠ جندياً أمريكياً علاوة علي الأضرار الجسيمة التي لحقت بالمدمرة فهذا مما لايصدقه عقل. بررت إسرائيل ذلك الهجوم آنذاك بأنها كانت تستهدف السفينة الحربية المصرية (القصير) ولكنها أخطأت وضربت المدمرة الأمريكية عن طريق الخطاء. رد الفعل الأمريكي مازال يثير جدلاً واسعاً حتي الآن علي الرغم من مرور أكثر من نصف قرن علي الحادث الأخطر في تاريخ العلاقات الأمريكية الإسرائيلية ومنطقة الشرق الأوسط والمثير للدهشة والشكوك بل وللشفقة أيضاً هذا التعتيم الأمريكي لهذا الحادث حتي لايصل لمسامع الشعب الأمريكي بالرغم من المحاولات المستميتة التي قام بها الناجون من الحادث ومطالبتهم للكونجرس الأمريكي بفتح تحقيق شامل لهذا الحادث، لكن الرئيس الأميركي "جونسون" ووزير دفاعه آنذاك "روبرت ماكنيمارا" كانا يتصديان لكل هذه المحاولات حتي بأت بالفشل بل وطالبا بسرعة انهاء التحقيقات الأولية والضغط علي المحققين حتي يتبنوا وجهة نظرهما "بأن الحادث ناجم عن التباس في هوية السفينة". لكن البحارة الناجون ينكرون هذا الإدعاء ويرفضون هذه النتيجة ويؤكدون أن المدمرة كان علي ظهرها ثلاثة أعلام فكيف لم يشاهد الطيارون الإسرائيليون أياً من هذه الأعلام.

في عام ٢٠٠٣. أجرت لجنة تحقيق أمريكية خاصة تحقيقاً مستقلاً عن الحادثة كانت النتيجة التي توصلوا إليها كما جاء في تقرير اللجنة "أن الهجوم علي المدمرة "ليبرتي" هو الحادث البحري الأخطر في تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية وهو الحادث الوحيد الذي لم يجر فيه الكونجرس الأمريكي تحقيقاً

عميقاً(!)". في نفس العام ٢٠٠٣ يطرح الصحفي الأميركي "بيترهونام" في كتابه الشهير"العملية سيانيد" قنبلة من العيار الثقيل اتهم بيترصراحة الحكومتين الأمريكية والإسرائيلية بقصف السفينة لإلقاء اللوم على مصر وحلفائها السوفيت لتبرير رد فعل كاسح تقوم به واشنطن يضمن التفوق لإسرائيل(!)،تري ماهو رد الفعل الكاسح الذي ستقوم به واشنطن ضد مصر لضمان تفوق إسرائيل؟ كانت خطة التحالف الصهيو أميركي آنذاك إغراق المدمرة "ليبرتي" ثم اتهام مصر بإغراقها علي آثر ذلك تقوم واشنطن بتجهيز سرب طائرات فانتوم أمريكية يقلع من إحدي القواعد العسكرية الأمريكية في البحر المتوسط وتحديداً من إيطاليا يتوجه إلي القاهرة وعلي متنها قنابل ذرية تقصف بها مصروخاصة مطار غرب القاهرة لأن الرئيس الأميركي "جونسون" ورئيس الوزراء الإسرائيلي "ليفي آشكول" كانا علي قناعة تامة بوجود قاذفات سوفيتية به وبذلك يضربان عدة عصافير بحجر واحد، أولاً تركيع مصر ثانياً إسقاط نظام عبدالناصر ثالثاً الإنتصار علي السوفيت والأهم تمكين إسرائيل بمنطقة الشرق الأوسط بعد إخضاع مصر.

كانت القاهرة ستضرب بالقنابل النووية علي غرار ماحدث في "هيروشيما ،ونجازاكي" اليابانيتين لكن كان للقدر كلمة أخري فلم يدر بخلد الأمريكان وحلفائهم الصهاينة أن سفينة تجسس سوفيتية قابعة بالبحر المتوسط سترصد عملية قصف الطيران الإسرائيلي للمدمرة "ليبرتي" بعدما أثار وجود الغواصة "أندرو جاكسون الذرية" الراقدة تحت المدمرة ليبرتي شكوك السوفيت فأبلغت القيادات السوفيتية قيادة الأسطول الأمريكي السادس بماحدث،مما أدي لوقف الأمريكان للعملية بعد افتضاح خيوط المؤامرة من قبل السوفيت فألغت واشنطن الضربة النووية دون التخلي عن الضربة العسكرية...

فى يوم الثالث من يونيو ١٩٦٧ قامت ٤ طائرات أمريكية من طراز RF S4 انطلقت من قاعدة بئرسبع بصحراء النقب برصد كل ما هو ثابت ومتحرك فى سيناء ، وتم تسليم كل الصور والأفلام السينمائية للجيش الإسرائيلي، كما نجحت الولايات المتحدة الأمريكية في فك كل شفرات الجيوش العربية وتجسست على كل الاتصالات، واعترضت الرسائل وأعادت صياغتها لتضليل الجيوش العربية ،ومنها الرسالة الشهيرة بين الرئيس عبد الناصر والملك حسين. في ٥ يونيو أرسلت واشنطن حاملة الطائرات الأمريكية "ساراتوجا" للسواحل الإسرائيلية ، وقامت طائرات الحاملة بعمل مظلة جوية فوق الأجواء الإسرائيلية للتصدى لأى هجوم جوى مصرى على مطارات وقواعد إسرائيل. في ٥ يونيو١٩٦٧. ساندت الولايات المتحدة الأمريكية العدو الصهيوني للعدوان علي مصر بمساعدات عسكرية وتكنولوجية ولوجستية تم منحها لإسرائيل من ميزانية المخابرات المركزية الأمريكية،فدعمت واشنطن تل أبيب ب٢٠ طائرة أمريكية انطلقت من قاعدة هويلس فى ليبيا وضربت المطارات والقواعد العسكرية فى غرب مصر، وسرب مقاتلات أمريكية انطلق من الخليج وضرب المطارات فى جنوب مصر،و٣ أسراب طائرات سكاى هوك ، وسربين طائرات ميراج ، و٦٢ دبابة ليوبارد ألمانية. كماوفرت واشنطن لإسرائيل ١٤٠ طياراً مقاتل متطوع من شتى أنحاء العالم. أما الدور الفرنسي في عدوان ١٩٦٧ فكان باشتراك ٢٠ طائرة فرنسية يقودها طيارون فرنسيون انطلقوا من المطارات الإسرائيلية مع القوات الجوية الإسرائيلية. التخطيط للعدوان واختبار خطة الحرب الإسرائيلية تم على الحاسبات الألكترونية للبحرية الفرنسية فى مدينة تولون.

أما الدور البريطاني فكان دوراً استخباراتياً في المقام الأول حيث قامت المخابرات البريطانية بتزويد إسرائيل بالخطة الجوية البريطانية لحرب ١٩٥٦

بالتفصيل .أما جنوب افريقيا زمن "الأبارتيد" أو في زمن الفصل العنصري بين السود والبيض فاشتركت في العدوان علي مصر ب ٢٠ طائرة يقودها طيارون من جنوب أفريقيا انطلقوا من المطارات الإسرائيلية مع القوات الجوية الإسرائيلية .

كانت الخسائر فادحة وخاصة على الجبهتين المصرية والسورية ، ومما زاد الطين بلة إصدار القيادات المصرية العسكرية أوامر جانبها الصواب أهمها الإنسحاب المهلهل والغير منظم لقوات الجيش من سيناء فنتج عن ذلك استشهاد أكثر من عشرين ألف جندي مصري من جراء الإنسحاب غير المنظم وليس القتال، كما بلغت خسائر قواتنا الجوية أكثر من ٨٥% والأكثر إهانة وإيلاماً ضرب إسرائيل لطائراتنا على الأرض فأصبحنا كجسد مشلول لا نقوى على الحركة ، كما وصلت خسائر قوة الطيارين إلى ٤% و١٧% من قواتنا البرية، كما وصلت الخسائر في المعدات لـ ٨٥% في قواتنا البرية ووصلت خسائر القوات البرية من القاذفات الثقيلة والخفيفة ١٠٠% و ٨٧% من المقاتلات القاذفة والمقاتلات ، عدد الشهداء المفقودين والأسرى ٣٦٠٠، عاد منهم ٣٧٩٩ أسير من بينهم ٤٨١ ضابط و ٣٨ مدنياً والباقي جنود وصف ضابط.

اتضح بعد المعركة أن عدد الدبابات مائتي دبابة تقريباً دمر منها ١٢ دبابة واستشهد منها ٦٠ فرداً وتركنا ١٨٨ دبابة للعدو[١] .

تحمل الشعب المصري تبعات ومرارة النكسة فقد جزء عزيز من أراضيه، وعلى الجانب الإقتصادي اختفت السلع والخدمات وارتفعت الأسعار

---

[١] حرب الثلاث سنوات، مذكرات الفريق محمد فوزي.

بشكل جنوني واقتطع الجيش حوالي ٢٠% من قوت ودخل الشعب المصري للمجهود الحربي .

وعلى المستوى العربي نتج عن هذه الضربة الجوية المركزة احتلال إسرائيل للجولان السورية وطرد القوات الأردنية من الضفة الغربية واحتلال القدس وغزة فضلاً عن سيناء.

مما دفع بـ " جمال عبد الناصر " لإعلان التنحي من منصبه ومن أي منصب سياسي أو رسمي وأن يعود إلى صفوف الجماهير كما أعلن مسئوليته عن الهزيمة، لكن ذكاء الشعب المصري الذي خرج عن بكرة أبيه يرفض هذا التنحي ويعتبره نوعاً من أنواع الإنسحاب أثناء المعركة التي خسرنا جولتها الأولى، ولكننا لم نخسر الحرب بعد، وكأن لسان حاله يقول (في نفس واحد) "اللي شبكنا يخلصنا" لتبدأ ثورة التصحيح ، وتغيير العقلية قبل القيادات فيُسند إلى الفريق " فوزي " منصب القائد العام للقوات المسلحة ويحل محله الفريق " عبد المنعم رياض " في رئاسة الأركان .

بدأ الجيش المصري يسترد عافيته وثقته في نفسه وفي قيادته ويعطي رسائل إطمئنان للشعب المصري بمعركة " رأس العش " بعد النكسة مباشرة بحوالي عشرون يوماً بنفس السلاح وإغراق المدمرة إيلات بالقرب من شواطيء بورسعيد وإغراق الحفار الإسرائيلي لتبدأ حرب إستنزاف العدو الصهيوني وتكبيده خسائر فادحة في الأرواح والمعدات والتي استمرت ثلاث سنوات حتى توقيع مبادرة " روجرز " لوقف إطلاق النار، نجح خلالها الجندي المصري في مواجهة العدو الإسرائيلي في معارك شبه يومية استمرت ٥٠٠ يوم شملت غارات على مواقعهم إلى عمل كمائن لقوات العدو المتحركة وقذف بالدبابات والمدفعية وقام خلالها أبطال القوات المسلحة بـ ٤٠٠ عملية عسكرية خلال

حرب الإستنزاف التي أطلقت إسرائيل عليها الحرب المنسية وفق ما ورد بأحد الوثائق الإسرائلية

.استراتيجية " جمال عبد الناصر " شملت ثلاث مراحل الدفاع بصورة مستمرة لمقاومة أي مبادرة عسكرية إسرائيلية هجومية وإتخاذ إجراءات إستباقية ضدها والردع بقوة هجوم قوية ضد إسرائيل لردع الأعمال الإسرائيلية وذلك تمهيداً للمرحلة النهائية وهي إقتحام القناة واسترداد سيناء.

ففي يوم ٨ مارس عام ١٩٦٩م أطلق الجيش المصري حوالي ٤٠٠٠٠ قذيفة وقامت مصربفتح نيرانها المكثفة بإتجاه القواعد العسكرية الإسرائيلية المتمركزة في عمق سيناء وعلى الضفة الغربية لقناة السويس، وطبقاً للوثيقة الإسرائيلية منذ هذا اليوم وطوال ١٧ شهراً واصل المصريون عملياتهم على طول القناة، وطالت الهجمات الإسرائيلية المقيمين على طول الحدود في منطقة (كريات شموناه) وحتى (إيلات) بصواريخ الكاتيوشا الروسية، وقتل في هذه الحرب المنسية ٧٢١ إسرائيلياً.

كان بطل هذه المرحلة بلا شك هو " جمال عبد الناصر" الذي أصدر أوامره بوضع خطة عسكرية لتحرير سيناء لإستغلال مكاسب حرب الإستنزاف، فكانت الخطة (٢٠٠٠) والتي تتكون من مرحلتين، المرحلة الأولى العملية " جرانيت "، وتشمل عبور القوات المصرية لقناة السويس وإقتحام خط بارليف الحصين والوصول لمنطقة المضايق.

المرحلة الثانية بعد الإستيلاء على منطقة المضايق يتم تطوير الهجوم حتى الوصول إلى الحدود المصرية الفلسطينية، كان الفريق " فوزي " مقتنعاً تماماً بالخطة (٢٠٠٠) وفي إجتماعه مع الرئيس " جمال عبد الناصر " في

أغسطس ١٩٧٠ حصل على تصديق شفهي من " ناصر " بموعد نهائي لبدء الهجوم بمجرد إنتهاء مبادرة " روجرز " .

بعد تولي الفريق " أحمد إسماعيل " القيادة العامة للقوات المسلحة ووزارة الحربية، صدق على خطة المآذن العالية التي اقترحها الفريق " سعد الدين الشاذلي " التي وضعت مطابقة تماماً لإمكانيات القوات المسلحة، تعتمد الخطة على عبور قناة السويس وتدمير خط بارليف ثم إنشاء رؤوس كباري بطول ١٠ إلى ١٢ كيلو متر شرق قناة السويس.

بعد تعيين الفريق " أحمد إسماعيل " قائداً عاماً للقوات الإتحادية تم تعديل خطة المآذن العالية لتشمل الخطة الجبهة المصرية والسورية معاً فعدلت الخطة لتشمل الإستيلاء على خط المضايق الإستراتيجية في سيناء لـ ٤٥-٥٥ شرق قناة السويس.

كانت المعضلة الوحيدة لهذه الخطة أن مع بداية الهجوم المصري السوري المشترك حتماً سترمي إسرائيل بكل ثقلها على الجبهة السورية فخطورة الجبهة المصرية لن تكون كنظيرتها السورية نظراً لوجود حواجز طبيعية كصحراء سيناء وصحراء النقب لذا عُدلت الخطة المصرية حتى تتفق مع الأهدافف السورية، فكانت الخطة الجديدة (جرانيت ٢) المعدلة ليتغير اسمها إلى الخطة (بدر) .

(المبحث الثالث)

العملاق المصري لم يركع وإرادة الشعب المصري لم تنكسر

في خمسينات وسيتنيات القرن المنصرم حققت مصر قفزات إقتصادية وصناعية وتعليمية وزراعية وإجتماعية هائلة، كانت كل المؤشرات تؤكد على أن مصر ركبت قطار التقدم والحضارة بتدشين " ناصر " لمصانع وشركات عملاقة كشركة النصر للسيارات التي قامت بتصنيع التاكسي نصر والأتوبيس نصر ، واللوري نصر لأول مرة بأيادٍ مصرية وصناعة مصرية خالصة، وشركة النصر للمراجل التجارية التي صارت في مصاف الشركات العالمية ، وصناعات كيماوية ككيما للأسمدة في أسوان وصناعة الغزل والنسيج وتكوين إمبراطورية صناعية كبرى في كفر الدوار وشبرا الخيمة، فأسس منها ٣٩ شركة منها ٢٩ شركة للغزل وعشر شركات لتجارة الأقطان وحلجها، مصانع الكوك ومجمع الألومنيوم بنجع حمادي بتكلفة بلغت ثلاثة مليارات من الجنهيات ، ومصانع الأسمنت والسكر والأدوية ومصانع إطارات السيارات ومصانع عربات السكك الحديد (سيماف) ومصانع الكابلات الكهربائية وغيرها من المصانع التي أنشأها " ناصر" والتي بلغت ١٢٠٠ مصنع ليشيد " ناصر" أكبر قاعدة صناعية في العالم الثالث ، لذلك أراد الغرب وأد المشروع الناصري النهضوي وإعاقة ثورته الصناعية وكسر إرادة الشعب المصري وإعادة عقارب الزمن إلى الوراء، فقام الغرب بتوجيه ضربة عسكرية لمصر في ٥ يونيو١٩٦٧م في معركة أمريكية بآداء وأيادي إسرائيلية على حد وصف الرئيس الفرنسي " شارل ديجول " لكن تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن فقد فوجيء الغرب بأن العملاق لم يركع وإرادة الشعب المصري لم تنكسر

و" ناصر" لم يسقط بعد، فبعد النكسة وتحديداً عام ١٩٦٩م حققت مصر زيادة في فائض الميزان التجاري لأول ولآخر مرة في تاريخها قُدر بـ ٤٦,٩ مليون جنيه ، فآخر ميزانية لمصر قبل ثورة ١٩٥٢ وصل العجز الإقتصادي إلى ٣٩ مليون جنيه ،فقبل تولي " ناصر " الحكم كان رصيد مصر من الجنيه الإسترليني المستحق لها من إنجلترا نظير ما قدمته مصر من خدمات لوجستية لدول الحلفاء أثناء الحرب العالمية الثانية ٤٠٠ مليون جنيه استرليني بددته شركة قناة السويس التي كانت دولة داخل الدولة وقدمت هذه الأموال للحلفاء للإنفاق على المجهود الحربي في الحرب العالمية الثانية دون الرجوع لمصر، ولم تكتف بذلك بل تبرعت بعشرات الملايين للحركة الصهيونية بفلسطين لدعم المشروع الصهيوني وحلم إنشاء الدولة القومية اليهودية، والأدهى قيام الشركة بعد الإعلان الرسمي لدولة الكيان الصهيوني بفتح مكاتب للتنسيق المخابراتي والمعلوماتي بالتعاون مع الموساد الإسرائيلي، لذلك أمم " ناصر" شركة قناة السويس ١٩٥٦م وعادت القناة لمصر، ولم يتبقَ من الـ ٤٠٠ مليون جنيه استرليني إلا ٨٠ مليون جنيه استرليني رفضت إنجلترا إعادته لمصر نكاية في " ناصر" ولكنها أفرجت عنه في عهد السادات في منتصف السبعينات.

وفي المجال الزراعي، زادت الرقعة الزراعية المصرية بنسبة ١٥% كما صدر قانون الإصلاح الزراعي في ٩ سنتمبر ١٩٥٢ ليتغير حال الفلاح المصري ويصبح سيداً على أرضه بعدما كان من ضمن أملاك وتركة الإقطاع، انتشرت المدارس والوحدات الصحية في القرى والنجوع وزادت نسبة التعليم وأصبح التعليم مجانياً ، وعلى الرغم من نكسة ١٩٦٧م تحمل الشعب المصري فاتورة تكاليف بناء السد العالي الذي صنفته الأمم المتحدة في عام ٢٠٠٠ كأعظم

مشروع تنموي هندسي في القرن العشرين، فبفضله استطاعت مصراستصلاح ٢ مليون فدان عدا الإستفادة الكبرى من توليد الكهرباء.

استطاعت مصر الناصرية أن تحقق إكتفاءاً ذاتياً في كل المحاصيل فيما عدا القمح ، اكتفت مصر بتحقيق ٨٠% من إحتياجاتها منه أما الذهب الأبيض أو البترول الأبيض (القطن المصري) فقد وصل إنتاج مصر منه عام ١٩٦٩م إلى ١٠ مليون و ٨٠٠ ألف قنطاروهو رقم لم تصل إليه مصر في تاريخها الزراعي لهذا المحصول، أما الأرز فوصلت المساحة المزروعة منه إلى ما يزيد على مليون فدان وهي أيضاً مساحة لم تصل إليها مصر من قبل ، كما تم زراعة أنواع جديدة من القمح كقمح جيزة (١٥٥) والقمح المكسيكي.

استطاعت مصر في عشر سنوات من سنة ٥٧ إلى ١٩٦٧م تحقيق نسبة نمو بلغت ما يقرب من ٧% بشهادة البنك الدولي في تقريره عن مصر في ٥ يناير ١٩٦٧م بالمقارنة ببلدان العالم الأخرى، لم يزد معدل النمو في تلك الفترة عن إثنان ونصف بالمائة لأي دولة في العالم بإستثناء ألمانيا الغربية واليابان والمجموعة الشيوعية .

صعدت روح الرئيس عبد الناصر إلى بارئها بعد ثلاثة أعوام من النكسة واقتصاد مصر أقوى من اقتصاد كوريا الجنوبية، ولدى مصر فائض من العملة الصعبة تجاوز المائتين والخمسين مليون دولار بشهادة البنك الدولي. ولدى مصر أكبر قاعدة صناعية في العالم الثالث حيث كان عدد المصانع التى أنشأت في عهد عبد الناصر ١٢٠٠ مصنع منها مصانع صناعات ثقيلة وتحويلية وإستراتيجية.

وثمن القطاع العام الذي بناه المصريون في عهد الرئيس عبد الناصر بتقديرات البنك الدولى بلغ ١٤٠٠ مليار دولار.

كل ذلك بدون ديون فمصر في ليلة وفاة الرئيس عبد الناصر كانت ديونها حوالى مليار دولار ثمن أسلحة أشترتها من الاتحاد السوفيتي، وقد تنازل عنها السوفيت فيما بعد ولم يتم سدادها.

ولم تكن عملة مصر مرتبطة بالدولار الأميركي بل كان الجنيه المصرى يساوى ثلاثة دولارات ونصف، ويساوى أربعة عشر ريال سعودى بأسعار البنك المركزي المصري.

رحل الرئيس عبد الناصر والجنيه الذهب ثمنه ٤ جنيه مصري [١].

وفي مطلع الستينات دخلت مصر سباق التسلح وكان مشروعها العسكري الأضخم، ففي بداية ١٩٦٧م كانت مصر متفوقة على الهند في صناعة الطائرات والمحركات النفاثة وعززت مصر هذا التفوق بصناعة أول طائرة مصرية نفاثة (القاهرة ٣٠٠) لذلك قرر الغرب تحجيم "ناصر" وإيقاف مشروعه النهضوي والقضاء عليه مستفيداً من أخطاء العدوان الثلاثي في عام ١٩٥٦م فكان سيناريو ٥ يونيو ١٩٦٧م محبوكاً.

كان الشعب المصري عن بكرة أبيه ينصت لإذاعة صوت العرب ولبيانات المذيع الأشهر في العالم العربي في فترة الستينات أحمد سعيد الذي أذاع في يونيو ١٩٦٧م للشعب المصري بيانات عسكرية كاذبة يؤكد فيها النصر الساحق للجيش المصري وأن قواتنا المسلحة قصفت عشرات الطائرات الإسرائيلية، ما زالت كلماته وجمله وصوته الأجش يرن في أذن الشعب المصري " سنلقيهم في البحر وهنيئاً لك يا سمك " في إشارة إلى أن الصهاينة سيكونون طعاماً شهياً للأسماك بعد طردهم من فلسطين.

---

[١] عبد الناصر وحرب الاستنزاف عمرو صابح

في ٥ يونيو ١٩٦٧م استقبل المشير" عبد الحكيم عامر" وفداً عسكرياً عراقياً اصطحبهم بنفسه على متن طائرة خاصة إلى سيناء، ووقع العدوان الجوي الإسرائيلي و"عامر" في الجو مع الوفد العراقي في سيناء ، ووجد " عامر " صعوبة بالغة في الهبوط فإسرائيل ضربت معظم المطارات .

إلى أن إكتشف الشعب المصري الخديعة الكبرى يوم ٩ يونيو عندما أعلن " ناصر" عزمه التنحي وتقديم إستقالته.

منذ تلك اللحظة لم يعد الشعب المصري يستمع للإذاعة المصرية ولصوت العرب ولصوت أحمد سعيد تحديداً الذي ارتبط اسمه وصوته في مخيلة المصريين بنكسة ١٩٦٧م ، فقد كان دون أن يدري بوقاً مستخدماً للخداع والكذب والتضليل ، لذلك إتجه المصريون إلى الإذاعات الأجنبية كالبي بي سي ومونت كارلو وصوت أمريكا .

كانت الصورة قاتمة، قتل الجنود الصهاينة للجنود المصريين أحياء في خنادق طلبوا منهم حفرها ثم يطلق عليهم الصهاينة الرصاص بدم بارد وغيرها من القصص التي يشيب لها الولدان.